المرأة العنكبوت.. لويس بورجوا* وعلامات الطفولة الأولى

علي النجار

مالمو

١-٢

إن لم تعش حياة عاطفية مستقرة في زمن نشأتك الأولى، فبالتأكيد ستبقى مرارة من نوع ما ترافقك على امتداد سنواتك القادمة. بورجوا اكتشفت المحظور من العلاقات المحرمة ما بين والدها ومربيتها وهي في سنوات عمرها الأولى، وتصدعت العلاقة الباطنية التي تربطها به. وعليها مداراة المظاهر، وهي في هذا العمر المبكر. وعلى ما يبدو فان حالة والدها كطاغ وزير نساء في آن واحد، هشمت لديها صلابة الأشياء، أو فيزيائيتها الصلبة. صلابة الواقع المفروغ من وقائعه. هذه الهشاشة، وحسب ما أعتقد هي التي رافقتها على امتداد مسيرتها الفنية العملية.

هشاشة المادة النحتية وليونتها هي التي دفعتني إلى مراجعة أعمال هذه الفنانة الفرنسية التي استوطنت نيويورك بعد أن تزوجت من أستاذ تاريخ فن أمريكي. وأنا أبحث عن أعمال (النحت الناعم). فالمتعارف عن أعمال النحت هو صلابة أو صلادة هيكليتها. لكن، وبعد أن سادت أعمال المادة، والمواد المختلفة والمختلطة في تنفيذ الأعمال الفنية. باتت هذه المواد هي التي تتحكم في مظهرية الابتكارات الفنية الجديدة، ومنها المنحوتات بأشكالها أو مظهريتها المتعددة والمتشعبة.

هل حققت بورجوا منحوتاتها، وخاصة اللينة منها بناء على نزوة، أو لمجرد تجريب عبثي يقود لاستكشافات أسلوبية. أعتقد بأن الأمر يتعدى ذلك لدوافع نفسية أقوى من ذلك. فهي في هذه الاشتغالات حاولت أن تعيد توازنها الذاتي الذي مارست تمارينه حتى لحظة وفاتها. أحيانا ما يكون عبثا أن تخلق من الهشاشة مجسمات ترمم ما تصدع من الغائر من مكونات الذات، أو محركاتها الوجدانية التي تتحكم بسلوكنا السوي، تقوّمه أو تهدمه، أو تشظيه. لكن بورجوا فعلتها بجدارة ملفتة للنظر. ربما لعلاقتها الحميمة بالوسط الفني النيويوركي في زمن الاكتشافات أو الحراك الفني في الستينات وما قبلها. وهي التي استوطنت نيويورك منذ عام(١٩٤٧). ومن خلال علاقاتها بفنانين من أمثال: بولوك وبارنيت نيومان و راينهارت، و وليم دي كوننك، و مارك روثكو. التي أعتقدها لا تمر من دون أن تترك تأثيرا ما، ولو ثقافيا فنيا يقود لتحولات أسلوبية. إن لم تكن ضمن هذه الحلقة(التجريدية التعبيرية أو البوب) فإنها سوف تكون بمحاذاتها. لكنها لا تفقد مرجعيتها الذاتية الطاغية. فتصدعات النفس وترسباتها التي أخذت كفايتها الزمنية، لا أعتقدها سوف تتبخر نهائيا، وهذا ما أثبتته كل معالجات مجسمات بورجوا، وحتى رسومها، بل وحتى قصديه موادها المنفذة بها. وهي التي تؤمن بان المواد وحدها دون الفكرة لا تصنع عملا فنيا.

لم تكن بورجوا بعيدة مطلقا عن ورشة عائلتها(ترميم المفروشات القديمة والسجاد) والعديد من أعمالها، وخاصة المتأخرة، كأنها خرجت من هذه الورشة اللينة. وبما أن الحياكة الترميمية هي جزء من مهنة عائلتها. فأعمالها لا تفقد هذه السمات الترقيعية بشكل من الأشكال، وليس الأمر، وكما تصرح به هي، إلا استرجاعا للمكان الأول المفقود. لكن بأي تصور معاد. إن كانت موادها النحتية تخزن دفء نسيج الورشة العتيقة. فإنها استحضرت الزوايا المعتمة منها أيضا. وحيث النسيج يهترىء ليكشف عما يشف من محنة اهترائه. وعن الحشرات التي قطنت هذه الزوايا. هل بإمكاننا أن نعتبر أعمالها النحتية، أعمالا عامة. مشغولة، كما هو حال معظم المنحوتات العربية، للعرض الجمالي أو الاجتماعي. أم هي أعمال ذاتية بامتياز. بمعنى كونها سيرة ذاتية استرجاعية. وان كانت سيرة، وهي كذلك. فبأية واسطة سوف نستعرضها. وهل في استعراضها من فائدة مرجوة. ونحن نعيش(وخاصة كفنانين مهاجرين) وسط حاضن اغترابي يرفض بوحنا الشخصي لصالح فنتازياه الخاصة. لكن وهي التي لم تغادر حاضنا أوربيا بيئيا، إلا إلى حاضن أكثر انفتاحا على التجارب الذاتية، ومن خلال ما يضفي عليها من عمومية مشهود أثرها. احتفي بأعمالها اكتشافات تستحق أفضل المساحات من العروض الفنية المتقدمة. لقد احتفى بها الـ(تيت كلري) في لندن. و(كوكنهايم) نيويورك. مثلما العديد من قاعات وساحات مدن العالم الأخرى. وتحولت أحشاء الزاوية المهملة من الورشة القديمة إلى أماكن عرض ادهاشية، لا تخلو من وهج عاطفي طاغ.

قراءة أو استعراض العمل الفني ايا كانت مادته أو منشأ فكرته (وأعمال ما بعد الحداثة أفكار) غالبا ما تقع ضمن شراك الذات القارئة أو المستعرضة. أو ضمن قراءة من نوع ما لعمومية المفاهيم التي تعضد الفكرة. وقراءة موجزة لمنحوتات بورجوا، اعتقدها لا تبتعد عن ذلك، إلا في مجال اللغط الكثير الذي رافق مسيرتها بمفاعلها السيكولوجي. المهم، إن مجمل أعمالها تؤكد وبشكل ما هذا المنحى، وبدون الانفصال عن بقية المحركات الأسلوبية والثقافية العامة المرافقة لهذه المسيرة الإنتاجية الثرية. الذات هي محفزها الأول. والمحيط الثقافي البيئي المتحرك هو مرافقها التحفيزي الآخر. وما اصطفافها وقضايا عامة، كالايدز، أو المثليين(في سنتها الأخيرة) إلا استجابة لهاجس الانعتاق من مكبوتات ماض لا يزال ضاغطا. هي وجدت نفسها ضمن نسيج متشابك من الذات والآخر المنتهك، المحبط، المهشم والمهمش. وعليها استعادة توازناتها الشخصية، وإيفاء النصف المنتهك الآخر حقه أيضا. ولم يكن لديها إلا أدواتها الفنية تستطلع وتستكشف من خلالها كل ذلك.

من الزوايا المظلمة استحضرت عنكبوتها الفولاذي العملاق (مامان). ومامان هذا، رغم جسده الفولاذي الصلب، إلا انه، وبكل أجزائه وأطرافه العديدة الهائلة التي ترتفع إلى تسعة أمتار في الفضاء لا يحمل من معنى الصلابة إلا مادة معدنه. فهو، وبما انه من سلالة الحياكة بخيوطها الهشة، فانه لا يفارق هشاشة مظهرية أطرافه، رغم صلابة معدنها. لقد حولت أو قولبت الفنانة صلابة الحديد إلى هشاشة فراغية فضائية ملولبة الأطراف والهيكل الجسدي (حامل البيض). وتحول إلى ما يشبه بعضا من خيوط غزل مكوكبة قديمة افتضت فضاءات لندن ونيويورك وكوبنهاكن والعديد من مدن العالم. لقد وفرت لنا الفنانة، بعملها هذا، ممرات نسيج خلالها وما بينها، لا تحت سطوة المادة الصلبة(الحديد) بل بإيحاء من خفتها. فهذا الكائن المنزوي الهش، لا يزال يعلن هشاشته، إشهارا مناقضا لحالة الخفاء. انه وبالنسبة للفنانة بعض من تواريخ شخصية تستعصي على الانمحاء. بالوقت الذي تمنحنا علنا كل ادهاشات تحولاتها الإبداعية الايجابية. أفعالا فنية تبقى عالقة في الذاكرة. لكنها تبقى بالنسبة لها تواريخ عصية على النسيان، (مامان) هي الأم المسترجعة من زوايا الأزمنة التي مضت. مامان أمها الحائكة الماهرة، هي أيضا الحارس الذي يحميها من الحشرات (الشرور) ،هي الحانية، الضامة بين حناياها جرم الطفولة الصغير. هي القابعة في زواياها المنزلية شاهدا وشهيدا، هي وكما العنكبوت المنزلي مامان.

(×) Louise_Bourgeois

منذ زمن ومنحوتات الفرنسية(لويس بورجوا) تثيرني وتحفزني للكتابة عنها. لا بصفتها الغرائبية، فالمنحوتات، وهي مجسمات، لا تحمل غرائبيتها القصوى، كما في بعض من أعمال ما بعد الحداثة المتأخرة الفنية. لكن، بما تشف عن حالات أو إحالات بقدر ما هي باطنية شفيفة. هي أيضا، وكأجساد أو أشياء تحمل صلابتها المظهرية، لكنها وفي نفس الوقت صلابة مظهرية هشة، قابلة للانكسار أو الانتهاك. هي دوما في حالة احتكاك أو تلامس، منبسط، أو مأزوم. وحتى لو كانت مشخصات مفردة، فإنها وغالبا ما تكون مشتبكة مع أجزائها أو أطرافها.

قناديل

▪ لطفية الدليمي

كيف تحتفي الدول بمبدعيها الكبار؟

النحات جياكوميتي على أوراق العملة السويسريّة

الاحتفاء بالمبدعين والعلماء والمبرزين في مجالات الفن والفكر والقانون والفلسفة، تتعدد وسائله في البلدان التي تقدر جهد العقول المبدعة، فلا تكتفي بمنح المبدع درعاً أو شهادة ورقية سريعة البلى، بل تعمد إلى إعادة طبع نتاجه ومساعدته على العيش بكرامة تليق بإنسانيته ومنجزه، وتساعد المخترعين، وتنفذ مشاريع العقول البناءة لتطوير حياة شعوبها، وتضع صور بعضهم على عملتها الوطنية.

النحات والرسام السويسري البرتو جياكوميتي الذي يعد مع هنري مور أعظم نحاتي القرن العشرين في أوروبا، وهو المتأمل الخارج على قوانين الفن وكلاسيكية النحت، كان فنه احتجاجا على المجهول وحماقة البشر في حروبهم الدموية، عاش حياته بنزعة عدمية ورفض كل منطق نفعي ، وغادر باريس خلال الحرب العالمية الثانية عائداً إلى وطنه سويسرا ، ثم ما لبث إن عاد إلى مشغله في حي مونبارناس بعد انتهاء الحرب، ليكمل بحثه في الشكل الإنساني الذي طالما انشغل به، ولبث ينقب في الأعماق المجهولة عن هذا السر المغلق : الإنسان ..

عند انتهاء الحرب العالمية تزوج جياكوميتي بسويسرا من آنيت آرم، وهو في أواخر الأربعينيات من عمره، ثم عاد معها إلى باريس، وأفصح جياكوميتي عن سرّ إبداعاته المتأخرة والكثيفة وعزاها لزواجه الناجح وقصة حبه الهائلة لزوجته آنيت، وكان يقول: إن تواصلي الجسدي والروحي معها يشحنني بالإلهام لأدراك سر الحياة العبثية والتغلب عليها، فجسد امرأتي المعشوقة هو من يحتضنني ويفجر إبداعاتي...

كرس حياته للبحث الفني، وعمل على تحطيم النسب الأكاديمية وقواعد التشريح التي تحكمت بالفن الكلاسيكي منذ عصر الإغريق، وانصب جهده على تقديم الوجه الإنساني بصفته المحيّرة وانطوائه على السر، فوجوه منحوتاته لا تمنح سوى الجهل بالحقيقة الإنسانية لان الوجه قناع وخديعة توهمنا أنها تكشف، لكنها لا تجيد سوى الإخفاء المتقن..

كشف جان جينيه عن انشغالات جياكوميتي عندما كان يزوره في مشغله ويكتب عنه احد نصوصه المهمة: (... ليس للجمال أصل سوى ذلك الجرح المتفرد، المختلف لدى كل إنسان (...) ويبدو لي أن فن جياكوميتي يسعى لكشف هذا السر لدى الكائنات والأشياء ليضيئها..)

المفارقة أن الرجل الذي طالما رفض المنطق النفعي في الفن وضعته بلاده على أكثر الأشياء نفعية في الحياة: النقود..!!

منحوتته الشهيرة «الرجل الماشي» الإنسان المتجه إلى المجهول، لا تعرضها سويسرا في متحف فحسب، بل تنقشها على أوراق عملتها الوطنية، ورقة المئة فرنك يزينها وجه النحات الضامر بنظرته التي تحدق بالمجهول، وترنو إلى زمن هارب، وفي إحدى زوايا الورقة صورته يعمل في مشغله على منحوتة منمنمة مرهفة، الصورة المائية الخفية هي لوجه النحات ونظرته الهائمة..

الوجه الثاني لورقة المئة فرنك تكرار تصويري للمنحوتة الشهيرة من منظورات مختلفة وكل وضعية مرسومة بلون مغاير، ولأنها ليست لوحة ذات بعدين، يقدمها المصمم من جوانبها المتعددة، فنراها أولاً من منظور جانبي باللون الأزرق، ومن منظور نصف أمامي وجانبي بلون ارجواني، وبمنظور يرينا ثلاثة أرباع المنحوتة بلون مخضّر، أما المنظور الأخير فهو لمنحوتة مرئية من الأمام باللون الأبيض الناصع، وعلى جانب الورقة الأيمن وجه المنحوتة ونظرة الرجل البريئة الحزينة المشبعة بالرعب مما يدور في دنيا البشر..

ورقة المئة فرنك السويسري معرض يتداوله الناس في المقهى والمسرح ووسائط النقل و يعرفه الأطفال والكبار والسائحون والمصرفيون وربات البيوت والباعة وسائقو الأجرة..

فمتى نرى في بلاد العجائب العراق- وجه مبدع أو عالم معاصر على عملتنا الوطنية؟

حفاوة إله

محمود النمر

إلى أبي في أربعينيّته

لي قبلةٌ خجلى على يدكَ التي كانت سماء
لي منكَ هذا الخيط أبيض حين أسهو
لم يكن غيظاً
ولا تكونُ أصابعي احتملت بريقا
فاغفر، إذا أقحمتُ نفسي في هدوئك
ولا تكون خريطتي سلكت طريقاً موغلاً في الظل
لم تنحن أغصانُ روحكَ
كانت تمدُ خيوطها التسعين مذ كانت ضفاف النهر
تفرشُ نفسها للهاربين من الزحام
هي صفعةٌ نزلت على رئتي
هي لم تغادرني
إني أرى عينيك تؤلم نزوتي
إني أراكَ تشدُ أشرعتي بأفعال الندم

إني أراكَ على بساطةِ وجهكَ المجبولِ بالوجع القديم
تَشد أزرَ المقبلين بلا حذر
أبتي سأقطعُ وردةً حمراءَ انثرُها نيازكَ في سمائك
ولأنني أحكمتُ بابكَ بالضجر
ظهرت تواريخ بلا عقل
فأبديتَ التعقلَ
هذا فراغُ شدهُ كرهُ النزاعِ
وأنت أكرمتَ الجميعَ ،عقداً من الزمنِ المشاغب
التسعُ أنت
ونحنُ في التسعِ اجتمعنا عند باب الله في قمر الجنوب
هي رقعةُ الشطرنج تحملُ ألفَ معنى
ألفَ مدرسة وألفَ خديعة
وأنت تنظرُ بعدما اهتززتَ أناملكَ التي خلقتْ من الترياق خيلا
كلما عبرتْ حدودَ الله أوقفها المناخ
ناختْ خيولُ الله من قرب الحدود
سكرت من الترياق حتى تستتبَ على خدر

الموتُ يمنحُ صيحةً خلفَ الكواكب
من أوصل الموت الغرير إلى سماء الأرض ؟!
من يخنقُ الأحلامَ في التسعين حتى لا يعيشُ الوردُ
نوراً في البيوت؟!

من يحرقُ الزغبَ الذي جفتْ حفاوتهُ على طول الضفاف؟!
الموتُ يسرقُ رغبة التاريخ، كي لا تستطيعُ ضمَ ....
من تركت جدائلها وغابت في الضباب

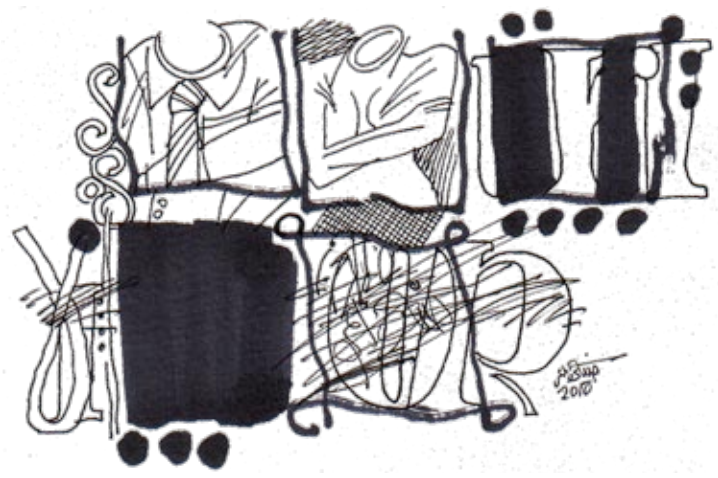

ستري هناك خليلةً بقيت تلمُ الوردَ من بين السنابل
في الحقول
هي علّمتكَ الرقص لو بدأت ترافقها يداك إلى الحصاد
هو ثوبُ أمي حينما أخفيتَ سراً فيه أدركها المخاض
وبكيتَ عند الصبحِ حتى لا ترى مسخاً يواريك الثرى
ولا ترى عيناً تلوذُ على فراغ
مازلتُ اعرف ألفَ مقبرة على مرمى عيون
هذا خيالكَ في شرايينيَ كما عصفت به تسعون عاما
وأنتَ تروي ألفَ ملحمة محملة بذاتك .
يا ابن من كانت ضفائرُهم منَ القصب الموشّى من صفير الريح، يحتفلون لو وطئوا الثرى في كل عام.
هذا سريرك من مياه
غمرت حفاوته إله

٢٠١١/١٠/٨ - بغداد

في مهرجان أبو ظبي السينمائي

هيمنة إيرانيّة مغربيّة على جوائز المهرجان.. و"أسماء" المصري يحقق حضوراً لافتاً

علاء المفرجي

أبو ظبي

بعد أيام حافلة بالعروض السينمائية والجلسات النقدية، اختتمت أمس فعاليات مهرجان أبو ظبي السينمائي في دورته الخامسة، بحفل تضمن إعلان الجوائز في أقسام المهرجان المختلفة، وقد هيمت إيران والمغرب على حصة الأسد من جوائز المهرجان، ففي مسابقة الأفلام الروائية الطويلة التي كان عددها هذا العام ١٦ فيلماً من ١١ بلداً، والتي رأس لجنة التحكيم فيها المخرج السوري نبيل المالح، وقدمت فيها رؤى مثيرة ومقاربات مبتكرة في أعمال لمخرجين من العالم، فاز الفيلم الإيراني (دجاج بالبرقوق) للمخرجة مرجان سترابي والفرنسية فنسان بارانو بجائزة أفضل فيلم..ويتناول الفيلم حكاية ناصر علي خان الذي يعاني فقدان حبه الحقيقي منذ زمن طويل، ليجد نفسه عالقا في زواج خال من الحب، فيما تواجه آلة الكمان التي يستعملها كأشهر عازفي العالم مصيراً عنيفا. وقد استحوذ فيلم إيراني آخر هو انفصال (نادر وسيمين) للمخرج اصغر فرهادي على جائزة لجنة التحكيم الخاصة.. وهذا الفيلم الذي سبق أن نال جائزة الدب الذهبي في مهرجان برلين السينمائي، اسر ومؤثر ومحرض منذ البداية حتى نهايته. واختارت لجنة التحكيم المخرج المغربي إسماعيل فروخي كأفضل مخرج في العالم العربي عن فيلمه رجال أحرار، الذي يتناول حادثة وقعت إبان الاحتلال النازي لباريس عن الدور الذي لعبه جامع باريس الكبير في مساعدة اليهود على الفرار من الاعتقال والترحيل على أيدي النازيين خلال الحرب العالمية الثانية.

واختارت لجنة التحكيم الممثل الأمريكي وودي هارلسون كأفضل ممثل عن دوره في فيلم "المتراس- RAMPART"إخراج أورين موفرمان، والممثلة الأفريقية جايشري بسّافراج عن دورها في فيلم "لاكي- LUCKY" إخراج آفي لوثرا/ جنوب إفريقيا.

وفي مسابقة آفاق جديدة التي يترأس لجنة تحكيمها المخرج الإيراني بهمن قبادي، المقامة للمرة الثانية، والتي تركز فيها على مقاربات جديدة وأفكار جريئة في أعمال روائية لمخرجين من أنحاء العالم في تجاربهم الإخراجية الأولى والثانية، وقد تضمنت هذا العام ١٢ فيلماً من ١١ بلداً.

فاز الفيلم البرازيلي (القصص موجودة حين نتذكرها) للمخرج جوليا مورات بجائزة أفضل فيلم، بينما منحت جائزة لجنة التحكيم الخاصة إلى الفيلم الهندي (صدقة الحصان الأعمى) للمخرج غورفندر سينغ ، واختارت اللجنة المخرج المصري عمر سلامة كأفضل مخرج عربي عن فيلمه (أسماء) والذي يعالج قصة حقيقية عن امرأة مصابة بالايدز، واختير الممثل ماجد الكدواني كأفضل ممثل في الفيلم نفسه، فيما ذهبت جائزة أفضل ممثلة لـ (ميمونة) عن دورها في فيلم "ولاية (دموع من رمال) إخراج بيدرو بيريز روسادو/ إسبانيا،والممثلة سونيا غوديس عن دورها في فيلم "القصص موجودة حين نتذكرها" إخراج جوليا مورات/ البرازيل.

وفي مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة وهي أفلام وثائقية تستكشف قصصاً وقضايا مهمة في العالم من حولنا. والتي كان عددها هذا العام ١٣ فيلماً من ١١ بلداً. ورأست لجنة تحكيمها المخرجة المصرية تهاني راشد، فاز الفيلم الهولندي "مكان بين النجوم".كأفضل فيلم، فيما ذهبت جائزة لجنة التحكيم الخاصة للفيلم المكسيكي " المكان الأصغر".

المخرج المغربي إسماعيل فروخي

من فيلم دجاج بالبرقوق